

لماذا هرب يونان من تنفيذ أمر الله؟

اعتادت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ومعها العديد من الكنائس الأخرى أن تصوم ثلاثة أيام تُعرف بصوم أهل نينوى الذين تابوا بمناداة نبي الله يونان، وذلك لتهيئة المؤمنين بالتوبة قبل بدء الصوم الكبير. فما هي قصة يونان؟ وما هي توبة أهل نينوى؟ وما هي الدروس المستفادة؟

لماذا هرب يونان من تنفيذ أمر الله؟

نينوى، أي عاصمة مملكة آشور، كانت الدّ أعداء إسرائيل (شعب يونان)، فكان يونان يتمنى خرابها. بل بعد أن عاد وأنذرهما جلس أمام المدينة منتظراً خرابها.

ربما خاف يونان من شرّ الأشوريين، فهم قوم دمويون، وربما قتلوه لو أنذرهم. كان أحد ملوكهم، حين أيقن أن ملك بابل سيهزمه، قد جمع كل نسائه في القصر وأحرقهن. وكانوا يسلخون الأسرى وهم أحياء، ويقطعون رؤوس البعض ويلقونها في أعناق الأحياء الآخرين، ويلهون بقطع أنوف وآذان وأيدي الأسرى، ويضعون الرؤساء المهزومين في أقفاص ويعرضونهم للهزء.

كان يونان يعرف أن الله رحيم وسيقبل توبتهم، فيظهر هو أمامهم ككاذب.

ذهابه إلى ملك آشور قد يُعتبر خيانة لملك إسرائيل. وربما اتهمه الأشوريون بالتجسس للعدو.

ذهابه لشعب وثني كان ضد فكر شعب إسرائيل الذين كانوا يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وبذلك يسقط يونان في نظر شعبه (الشعب والكهنة والأنبياء).

كان يتمنى بالأولى أن يرسله الله إلى شعب إسرائيل فيعظمه الشعب، مع أن الله بعد نجاحه في مهمته مع نينوى عيّنه نبياً لشعب إسرائيل.

مع كل هذه الأسباب، هل كان يونان محقاً في هروبه ورفضه لوصية الله؟

قطعاً لا:

الله لا يخطئ، وكان يعلم أن مهمة يونان ستجح.

حين يُرسل الله رسولاً أو يعطي إنساناً وصية، يعطيه أيضاً إمكانيات إتمام العمل، وهذا ما نسميه وزناً أو مواهب:

«لِيَخْدِمَ كُلُّ وَاحِدٍ الْآخَرَ، كَبُرُوكَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُتَوَعَّةِ، كُلُّ بِمَا أَخَذَ» (١بطرس ٤: ١٠).

+ مقالات أبينا الحبيب القس بولا نُواذ رياض +

«إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَخْدُمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يُمْنِحُهَا اللَّهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١ بطرس ٤ : ١١).

هل يجب أن ينجح الخادم الذي يرسله الله؟

يونان نجح، وتاب شعب نينوى ونجوا من الهلاك.

السيد المسيح نفسه نجح مع قِلَّة، ورفضه الباقون، لكن رسالته غيّرت وجه العالم.

إرميا لم ينجح مع أحد، ورفضه الجميع، لكن عن طريقه أنذر الله الشعب بخراب أورشليم والهيكل وذهابهم إلى السبي إن لم يتوبوا، فتبرر الله في أحكامه لأنه أنذر قبل أن يضرب. لذلك يقول داود النبي:

«لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي كَلَامِكَ وَتَفُوزَ إِذَا خُوصِمْتَ» (مزمور ٥١ : ٤).

وهذا هو أسلوب الله دائماً: ينذر قبل أن يضرب.

أمثلة:

أُرسل يونان فتابت نينوى ونجت، لكن بعد مئة سنة عادت لشرور أظفح، فأرسل الله ناحوم النبي، ولم تتب، فاحترقت بيد ملك بابل.

أنذر الله سدوم وعمورة بعدة ضربات خفيفة قبل أن يحرقهما.

وماذا يحدث لمن يرفض وصية الله؟

قام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب، فنزل إلى يافا، ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش، ونزل فيها. فأرسل الرب ريحاً شديدة، فخاف الملاحون، وأما يونان فكان قد نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوماً ثقيلاً.

نلاحظ أنه نزول مستمر، كأن إنساناً يتدحرج على سفح جبل ويعرض نفسه للهلاك.

النوم هنا يعني عدم الشعور بإنذارات الله.

البحارة الوثنيون أيقظوه وطلبوا منه أن يصلي لإلهه. يا للعار! وثنيون يشعرون بغضب الله، ونبي الله لا يشعر، لأنه نزل عن مستواه الروحي وفقد الإحساس بصوت الله.

هل يترك الله أولاده للهلاك؟

كما ردّ الله الابن الضال بالمجاعة، ردّ يونان بالرياح والنوء العظيم والحوث الذي ابتلعه.

+ مقالات أبينا الحبيب القس بولا فؤاد رياض +

لله وسائل متعددة نسميها التجارب، فالخلقة كلها تحت أمره. فهل ننتظر حتى يهيج العالم في وجوهنا أو يبتلعنا حوت العالم، أم نتوب؟

إذا، ما معنى شعب الله المختار؟

هل الله تعامل فقط مع اليهود وترك بقية العالم؟

الله إله الخليقة كلها، يشرق شمسُه على الأبرار والأشرار.

الكتاب المقدس يركّز على تعاملات الله مع اليهود، لكنه يُظهر أيضاً تعامل الله مع كل الخليقة:

أ- أرسل يونان لشعب نينوى الوثني.

ب- أعطى بلعام النبي الوثني أجمل نبوات عن المسيح، وبموجبها انتظر المجوس ميلاده.

ت- ملكي صادق كان كاهناً لله العلي وبارك إبراهيم.

ث- موسى تزوج من بنت يثرون كاهن مديان واستفاد من حكمته (خروج ١٨).

ج- أيوب وأصدقاؤه لم يكونوا يهوداً، وكان الله يكلمهم مباشرة.

ح- الله كلم أبيمالك وفرعون ونبوخذنصر بالأحلام، وأدب نبوخذنصر حتى آمن (دانيال ٤).

خ- رقة مشاعر البحارة في سفر يونان دليل على تعامل الله معهم.

د- أرسل إيليا إلى صيدون، وكان لإليشع رسالة مع أرام.

معنى شعب الله المختار:

كانوا مختارين ليعدّ الله منهم الشعب الذي يأتي منه المسيح وأمه العذراء ورسله، وكانت لديهم النبوات، لذلك سمّاهم الآباء "أمناء مكتبة المسيحية".

الكنيسة واحدة ممتدة من آدم حتى اليوم. ويشرح بولس الرسول في رسالة رومية (الأصحاح ١١) أن اليهود هم الزيتون الأصلية، ومن آمن منهم بالمسيح ثبت، ومن رفض قُطع. أما الأمم فكانوا زيتونة برية، ومن آمن منهم طُعم في الزيتون الأصلية.

معنى نينوى المدينة العظيمة ومسيرة ثلاثة أيام:

نينوى العظيمة = نينوى الأصلية + رحوبوت + كالح + عير + رسن (تكوين ١٠ : ١١-١٢).

+ مقالات أينا الحبيب القس بولا فؤاد رياض +

مسيرة ثلاثة أيام هي محيط المدينة الكبرى، ومسيرة يوم واحد هي محيط نينوى الأصلية حيث قصر الملك.

هذا السفر هو سفر حنان الله:

حنان الله على نينوى، إذ لا يسرّ بموت الخاطئ بل بأن يرجع ويحيا:

«هَلْ مَسَرَّتِي مَسَرَّةَ الشَّرِّيرِ بِمَوْتِهِ؟... أَلَيْسَ بِرُجُوعِهِ عَنْ طَرِيقِهِ فَيَحْيَا؟» (حزقيال ١٨ : ٢٣).

حنان الله على يونان، إذ أعاده بتأديب شديد:

«لَأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ» (عبرانيين ١٢ : ٦).

وفي أثناء التجربة أحاط الله يونان بالتعزيات (يونا ٢).

عامله الله بالحنان حتى بعد تدمره، وأعطاه درس اليقطينة.

وامتد حنان الله حتى إلى البهائم:

«أَفَلَا أَشْفَقْتُ أَنَا عَلَى نَيْنَوَى... وَعَلَى بَهَائِمٍ كَثِيرَةٍ؟» (يونا ٤ : ١١).

فضائل أهل السفينة:

كانوا رجال صلاة، وبسطاء، وعادلين، ورحماء، ومتريدين في إلقاء يونان رغم علمهم أنه السبب.

الله يبحث عن خلاص كل إنسان:

«الَّذِي يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ» (١ تيموثاوس ٢ : ٤).

«لَكِي أُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا» (١ كورنثوس ٩ : ٢٢).

الخليقة كلها تطيع الله: الريح، والبحر، والحوت، والشمس، واليقطينة، والدودة، وكلها أدوات في يده لخلاص الإنسان. حتى تمرد يونان استخدمه الله لخلاص البحارة، وطاعته لخلاص نينوى.

وجود يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام كان رمزًا لوجود السيد المسيح في القبر ثلاثة أيام.

عجيب أنت حقًا يا رب في محبتك وشفقتك على خليقتك.

القس بولا فؤاد رياض

كاهن كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بالطرية